

تفسير ابن كثير

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ^ج وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتُلُوكُمْ^ج فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا

ثم استثنى الله ، سبحانه من هؤلاء فقال : (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق

(أي : إلا الذين لجئوا وتحيزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادنة أو عقد ذمة ، فاجعلوا

حكمهم كحكمهم . وهذا قول السدي ، وابن زيد ، وابن جرير . وقد روى ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان ، عن الحسن

: أن سراقه بن مالك المدلجي حدثهم قال : لما ظهر - يعني صلى الله عليه وسلم - على أهل

بدر وأحد ، وأسلم من حولهم قال سراقه : بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي

- بني مدلج - فأتيته فقلت : أنشدك النعمة . فقالوا : صه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "

دعوه ، ما تريد ؟ " . قال : بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي ، وأنا أريد أن توادعهم ،

فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام ، وإن لم يسلموا لم تخشن قلوب قومك عليهم

. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد خالد بن الوليد فقال : " اذهب معه فافعل ما يريد " . فصالحهم خالد على ألا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أسلمت قريش أسلموا معهم ، [ومن وصل إليهم من الناس كانوا على مثل عهدهم] فأنزل الله : (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء) ورواه ابن مردويه من طريق حماد بن سلمة ، وقال فأنزل الله : (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فكان وصل إليهم كانوا معهم على عهدهم وهذا أنسب لسياق الكلام . وفي صحيح البخاري في قصة صلح الحديبية فكان من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم ، ومن أحب أن يدخل في صلح محمد وأصحابه وعهدهم . وقد روي عن ابن عباس أنه قال : نسخها قوله : (فإذا انسلك الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين [حيث وجدتموهم]) [التوبة : 5] . وقوله : (أو جاءوكم حصرت صدورهم [أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم]) الآية ، هؤلاء قوم آخرون من المستثنين عن الأمر بقتالهم ، وهم الذين يجيئون إلى المصاف وهم حصرة صدورهم أي : ضيقة صدورهم مبغضين أن يقاتلوكم ، ولا يهون عليهم أيضا أن يقاتلوا قومهم معكم ، بل هم لا لكم ولا عليكم . (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) أي

: من لطفه بكم أن كفهم عنكم (فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم) أي :
المسالمة (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) أي : فليس لكم أن تقتلوهم ، ما دامت
حالهم كذلك ، وهؤلاء كالجماعة الذين خرجوا يوم بدر من بني هاشم مع المشركين ،
فحضروا القتال وهم كارهون ، كالعباس ونحوه ، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم
يومئذ عن قتل العباس وأمر بأسره .